أربعينية الإمام الحسين (ع) في خطاب القائد دام ظله؛ دور زينب الكبرى في حركة الإمام الحسين (ع) (3)

هذه الأيام أيام العشرة الأخيرة من صفر، أيام ما بعد الأربعين. إذا نظرنا إلى تاريخ صدر الإسلام فسنجد أن هذه الأيام هي أيام السيدة زينب الكبرى (سلام ا عليها). والمهمة التي نهضت بها زينب الكبرى (سلام ا عليها) كانت مهمة من هذا السنخ، أي مهمة محضة لوجه ا تعالى. ظهر الكيان المعنوي والإلهي للدين في الشخصية الحاسمة للسيدة زينب الكبرى (سلام ا عليها) وسط الأخطار والمحن والصعاب. من المناسب أن نعلم ونفهم سطور التاريخ القديم القيم جداً والذي لا يزال يفيض إلى اليوم بالبركات والخيرات الفكرية والمعرفية وسيبقى كذلك إلى آخر الدنيا إن شاء ا.

تألقت السيدة زينب (سلام ا عليها) كوليّ إلهيّ في المسير إلى كربلاء مع الإمام الحسين، وفي حادثة يوم عاشوراء وتحملها تلك الصعاب والمحن، وأيضاً في أحداث ما بعد استشهاد الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) حيث قامت برعاية تلك الجماعة المتبقية من الأطفال والنساء.. تألقت بشكل لا يمكن أن نجد له نظيراً على مرّ التاريخ. ثم في الأحداث المتتابعة خلال فترة الأسر، في الكوفة والشام وإلى

هذه الأيام وهي أيام نهاية هذه الأحداث وابتداء مرحلة جديدة للحركة الإسلامية وتقدم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي. وبسبب هذا الجهاد الكبير اكتسبت زينب الكبرى (سلام الله عليها) عند الله تعالى مقاماً لا يمكننا وصفه.

لاحظوا أن الله تعالى يضرب في القرآن الكريم مثلاً لامرأتين كنموذج إيماني متكامل، ويضرب مثلاً لامرأتين كنموذج للكفر أيضاً. ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا﴾، هذان هما المثالان على الكفر وهما امرأتان كافرتان. أي إنه لا يسوق المثال للكفر من الرجال بل يأتي به من النساء. وهذا ما نجده في باب الكفر وفي باب الإيمان أيضاً. ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾. أحد المثالين على النموذج الإيماني المتكامل هو امرأة فرعون والمثال الآخر السيدة مريم الكبرى ﴿ومريم ابنة عمران﴾.

مقارنة عابرة بين زينب الكبرى وبين زوجة فرعون يمكن أن تجلي لنا عظمة مقام السيدة زينب الكبرى. عُرّفت زوجة فرعون في القرآن الكريم بوصفها نموذج الإيمان للرجال والنساء على مرّ الزمان وإلى آخر الدنيا. ثم لكم أن تقارنوا زوجة فرعون التي آمنت بموسى وانشدّت إلى تلك الهداية التي جاء بها موسى وحينما كانت تحت ضغوط التعذيب الفرعوني والذي توفيت بسببه حسب ما تنقل التواريخ والروايات، ساقها التعذيب الجسدي إلى أن تصرخ قائلة: ﴿إذ قالت ربّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله﴾، طلبت من الله تعالى أن يبني لها بيتاً عنده في الجنة.. والواقع أنها طلبت الموت وأرادت أن تفارق الحياة. ﴿ونجني من فرعون وعمله..﴾، انقذني من فرعون وأعماله المضلة. والحال أن السيدة آسيا زوجة فرعون كانت مشكلتها وعذابها ألماً جسدياً ولم تكن كالسيدة زينب فقدت مجموعة من الإخوان والأبناء وعدداً كبيراً من الأقارب وأبناء الإخوان ساروا أمام عينيها إلى مقاتلهم. هذه الآلام الروحية التي تحملتها زينب الكبرى لم تتعرض لها السيدة آسيا زوجة فرعون. رأت السيدة زينب بعينيها يوم عاشوراء كل أحبتها يسيرون إلى المذبح ويستشهدون: الحسين بن علي (عليه السلام) سيد الشهداء والعباس وعلي الأكبر والقاسم وأبناءها هي نفسها وباقي إخوانها رأتهم كلهم. وبعد استشهادهم شهدت كل تلك المحن: هجوم الأعداء وهتك الحرمات ومسؤولية رعاية الأطفال والنساء. فهل يمكن مقارنة عظمة وشدة

هذه المصائب بالمصائب الجسدية؟ ولكن مقابل كل هذه المصائب لم تقل السيدة زينب تعالى: «ربّ نجّني»، بل قالت يوم عاشوراء: ربنا تقبل منا. رأت الجسد المبضّع لأخيها أمامها فتوجهت بقلبها إلى خالق العالم وقالت: اللهم تقبل منا هذا القربان. وحينما تُسأل كيف رأيتِ؟ تقول: «ما رأيت إلا جميلاً».. كل هذه المصائب جميلة في عين زينب الكبرى لأنها من ا وفي سبيل ا وفي سبيل إعلاء كلمته. لاحظوا هذا المقام الرفيع وهذا العشق للحق والحقيقة كم هو الفارق بينه وبين ذلك المقام الذي يذكره القرآن الكريم للسيدة آسيا. هذا دليل على عظمة مقام السيدة زينب. هكذا هو العمل في سبيل ا. لذلك بقي اسم زينب وعملها إلى اليوم نموذجاً خالداً في العالم. بقاء دين الإسلام وبقاء سبيل ا وبقاء السير في هذا السبيل من قبل عباد ا يعتمد كله على العمل الذي قام به الحسين بن علي (عليه السلام) وما قامت به السيدة زينب الكبرى. أي إن ذلك الصبر العظيم وذلك الصمود وتحمل كل تلك المصائب والمشكلات أدى إلى أنكم ترون اليوم القيم الدينية هي القيم السائدة في العالم. كافة هذه القيم الإنسانية التي نجدها في المدارس المختلفة والمتطابقة مع الضمير البشري هي قيم نابعة من الدين. هذه هي خصوصية العمل .

كلمة الإمام الخامنئي بتاريخ 8 / 2 / 2010